أهمية حروف العطف في توجيه الخطاب السردي الروائي

دراسة في معاني حروف("الواو"، "الفاء"، "ثم"و "أو") في رواية (وشيء آخر...) لعبد الملك مرتاض

الدكتور: هارون مجيد

الطالبة : كروشي فاطمة

جامعة الشلف

توطئـــــــــة:

مما لا شك فيه أن آلية العطف من آليات التّرابط اللغوي الذي يقوم على "الربط بين كلمتين أو جملتين فتسمى الأولى معطوف عليها والثانية معطوفة"[1] إذ نلفيه يلعب دوراً هامّا في تحقيق الانسجام التلفّظي و التداولي و يسهم في استمرارية النص الأدبي والحفاظ على وحدته واتساقه، وهو ما نحاول كشف الستار عنه من خلال دراسة نماذج متنوعة المعاني والدلالات لحروف العطف انطلاقا من رواية "وشيء آخر" لعبد الملك مرتاض.

*** عرض مفهوماتي للعطف :**

يعتبر العطف من أدوات الربط التي تساهم في التحام أجزاء النص و تماسكه، لذا آثرنا الغوص في خبايا هذه الجزئية الموشحة للخطاب الروائي مقتفين أثر سابقينا في المعاجم و المؤلفات كالآتي:

أ. **لغة:** بتتبعنا لقضايا المعاجم العربية وجدنا مادة (ع ط ف) في **معجم العين** تتلبس عدّة معاني حيث هي عند **الخليل بن أحمد الفراهيدي** " عطفت الشيء: أملته، و انعطف الشيء: إنعاج، و عطفت عليه: انصرفت... و ثَنىَ فلان على عطفه إذا أعرض عنك و جفاك. و تعطِفُ على ذي رَحِمٍ، في الصّلة و البر... و رجلٌ عطوف إذا عطف على القوم في الحرب فحمى دُبُرَهم إذا انهزموا..."[2]

* نستخلص بعد هذا المعطى في معاجم اللّغوية أنّها تتفق أغلبيّتها أن مادة (ع ط ف) تحمل عدة معان متقاربة و هي: الرّجوع و الإمالة و الصّلة و زيادة في المعنى.

ب. **اصطلاحا:** أما من **النّاحية الاصطلاحية** فقد استعمل النحاة مصطلح العطف في تسمية **بابين من أبواب التّوابع** هما: عطف البيان و عطف النسق.[3] و يُعتبرا قسمي العطف :

1ـــعطف البيان هو: تابع موضح و مخصص يشبه الصفة، نحو: " أقسم بالله أبو حفص عمرُ"[4] (فعُمَرُ) عطف بيان موضح لأبي حفص.

2ـ عطف النسق: فهو تابع ربط بينه و بين متبوعه ، أحد حروف العطف و هي كالتالي: الواو، الفاء، ثم، حتى، أم، أو، لكن، لا، بلا[5]، و معنى هذا أنّ عطف النّسق تابع بوساطة حرف من حروف العطف، **وهو على ضربين:**[6]

أحدهما: ما يشرك المعطوف و المعطوف عليه أي ما يتبع لفظاً و معنًى و هي: الواو، الفاء، ثم، حتى، أم، أو نحو: جاءَ زَيْدٌ و عمرُو[7]

ثانـيهما: ما يشرك المعطوف و المعطوف عليه لفظا فقط، و هذه الحروف هي: بل، لا، لكن، بمعنى أنها تشرك الثاني مع الأول في إعرابه لا في حكمه، نحو: ما قام زيدُ بل عمرُو.[8]

***معاني حروف العطف:**

1- معاني حرف العطف"واو": تعد "الواو" أهم باب من أبواب العطف لما تتميز به عن غيرها من خصائص، ولأنها لمطلق الجمع فلا تقتضي الترتيب ولا تمنعه، فلـ(واو) العطف معان كثيرة منها:[9]

* أن تأتي بمعنى مطلق الجمع، فتعطف الشّيء على مصاحبه نحو قوله : (لا تاريخ ولا وعي ولا ذاتا ولا كينونة ولا وجودا ، عدم في عدم مثله ينعدم فيه عدم كل عدم.) ، أي أنّه في هذه الحالة يصف لنا بمطلق الجمع أنّه لا وجود لكل الأشياء المذكورة من تاريخ ووعي وذات وكينونة ووجود ، وقوله: (الزيتونية العليا والسفلى) أين يتحدث عن جل المكان (المنطقة) من علوية وسفلية.

*و تعطف الّشيء على سابقه، نحو قوله : (الأخشاب والعيدان)، فكلمة العيدان معطوفة على الأخشاب ، وقوله: (الثعابين والكائنات) بمعنى أن الكائنات معطوفة على الثعابين ، حيث أن الثاني معطوف على سابقه .

* وأن تعطف الشّيء على لاحقه، نحو قوله : (طين وتراب)، (غبار ودخان) ، (رطوبة وظلام) ، لكن ههنا العطف معكوس معنويا فالطين معطوفة على التراب، والغبار معطوف على الدخان والرطوبة معطوفة على الظلام بحيث أنّ التراب يصبح طينا بعد خلطه بالماء ، والغبار دخانا بعد كثافة الانتشار ، والظلام يولد رطوبة منطقيا.

خلاصة :

*** (واو) العطف تفيد مطلق الجمع و تحتمل ثلاثة معان:

++ إمّا للمعية دون ترتيب: (الأشرف والأصدق و الأودع و الأوفى) حيث أنّ السيدة سارة تعدد خصال وصفات زوجها جامعة إياها مع دون ترتيبه ، ونفس الشيء في قوله: (أيام الجوع والذل والكدح والسجن...إلخ) حيث أنها تصف الأيام الصعبة التي مر بها زوجها جامعة إياها على أساس أنّها قد ولّت.

++و إمّا للترتيب بحسب الظاهر: (يظاهران صوت منبه قطارهم .. على الارتفاع والامتداد والانتشار) فالجمع ههنا يعتمد الترتيب التصاعدي على أساس أنّ دخان القطار يرتفع قبلا ثم يمتدّ طولا مع سير القطار إلى أن ينتشر بطريقة تراتبية ، وقوله: (ميلادا ووفاة) حيث أنّه الترتيب يستوجب تسبيق الميلاد على الوفاة ، كما هو الشأن كذلك في قوله: (الخضرة والنّضرة)

++ و إمّا الترتيب بعكس الظاهر، و أيضا أن يكون بين متعاطفيها تفاوت أو تراخٍ نحو قوله : (**كان يدوّي في كل أداني الأرجاء وأقاصيها**) **في حديثه عن صوت القطار** ، **(ولا من حفرها ولا من طواها**) ، (**يضبط الأعمار ميلادا ووفاة**) ، (**للمعترضين والمناوئين**) . فبين الحدث **الأول** و **الثاني** مدّة من الزمن أي حدوث تراخٍ.

2- معاني حرف العطف "فاء": لحرف الفاء عدّة معاني و هي[10]:

أ-أن تكون عاطفة. **ب**-أن تكون في جملة الشرط. **ج**-أن تكون زائدة. و ما يهمنا هنا **الفاء العاطفة**، و هي تفيد ثلاثة أمور[11]:

أ- الترتيب: بمعنى أن يكون الثاني بعد الأول، و الترتيب نوعان[12]:

- ترتيب معنوي: أي ترتيب في المعنى، بأن يكون المعطوف بالفاء لاحقا متصلا بلا مهلة. نحو قوله : (يسعل فيقذف دخانا كثيفا) بمعنى أنّ السعال أوّلا ثم يأتي القذف مباشرة بلا مهلة .

ب- التعقيب: " و هو في كل شيء بحسبه"[13] ، بمعنى أنّ **الثاني** يعقب **الأول** بدون مهلة أو تراخي. نحو **قوله**: (كالزمن حين ينتهي فيصير عدما) فإذا....

و تكون بمعنى (**ثم**) نحو قوله : (آثرتك فتزوجتك) ، (ذهبت لتحصل على شيء فكان سعيك خائبا) ، وذلك لوجود مهلة وتراخي بين الفعلين .

ت- **السببية**: و ذلك غالب في العاطفة جملة أو صفة [14].

- الجملة: نحو قوله : (وجوه جعّدتها الشمس فأحرقتها)

3- معاني حرف العطف "ثم": هو حرف عطف يقتضي عدّةأمور[15]:

- الترتيب مع التراخي: نحو قوله : (تحفظه ثم لا تنساه أبدا) ، (كأنها نهر بني عليه ثم طوي طيا)
- و قد تأتي لترتيب الأخبار: نحو قوله : (إنّ مما لدي ، مما لم تره ، لهو أغلى بكثير من ذلك ثمنا ... ثمّ إنّ هذه الذّهوب لا توجد بأشكالها في أسواق الذّهب المعروفة) ، (سكتت سارة ولم يقل عمر شيئا ، كأنّه كان مذهولا ثمّ استأنفت سارة من حيث كانت انتهت إليه). .... بمعنى أنه يوجد مهلة في تسلسل الأحداث و ترتيب الأخبار.

4- معاني حرف العطف " أو": حرف عطف يعطف المفردات و الجمل " يفيد الاشراك في الإعراب و المعنى"[16] ، و له معاني تختلف باختلاف التركيب أو الأمر أو الطلب أو الخبر و هي[17]:

- الشك من المتكلم نحو قوله : (كان جدّك يقطن بيتا طينيا لا يختلف عن الاصطبل فتيلا أو إلا قليلا)
- التخيير بين المعطوفين بأن يمتع الجمع بينهما نحو قوله : (لا تحول دون زحفه جسور أو هضاب) .

- الإضراب: نحو قوله : (لم يكن أحد يسلم للآخر بأنّه هو.. أو أبوه ..أو جدّه ..أو جدّجدّه من بادر إلى احتفار البئر أو هنا بمعنى "بل" .
- بمعنى الواو: كقوله: (حرّم عليكم منعهم من الارتواء هم أو أنعامهم أو أشجارهم أو نباتهم)
- بمعنى " ولا"[18]: فقد ذكر بعض النحويين أن " أو" تأتي بمعنى "ولا" في حالات منها: بعد النهي نحو قوله : (لا تتأثّر غزارة مياهها بجدب أو بجفاف) بمعنى لا تطع هذا و لا هذا.
- الإباحة: بمعنى جواز الاقتصار على أحد المتعاطفين كما يجوز الجمع بينهما, نحو: جالس الحسن أو ابن سرينو المقصود مجالسة أحد العلماء، أو الجمع بينهما[19]،
- التقريب: أي تقريب معنى لمعنى نحو: "مَا أَدْرِي أسلّم أو ودّع"[20]يقال عند قصر الزمن بين الوداع و السلام.

وما لوحظ أن:

***الفرق بين الشك و الابهام[21]: أن الشك غموض من جهة و أن الابهام غموض من جهة السامع.

*** الفرق بين التخيير و الإباحة[22] : أن التخيير "لا يكون إلا بين مباحين" يقتصر على اختيار أحدهما و عدم الجمع بينهما، أمّا الإباحة: يجوز الاقتصار على أحدهما، كما يجوز الجمع بينهما.

قد أشاد **السيوطي** في كتابه **الاتقان** في علوم القرآن إلى أن المتقدّمين لم يذكروا لـ "أو" هذه المعاني، بل قالوا: هي لأحد الشيئين أو الأشياء، و غنما فهمت هذه المعاني من القرائن[23] بمعنى "أو" تكزن لأحد الأمرين أما بقية المعاني فتمّ استنتاجها من خلال ما تؤدّيه القرائن في السابق.

خاتمة:

لقد شكّل العطف كآلية ترابط قفزة نوعية في الدراسات التطبيقية الروائية ، فالعطف من (الميكانيزمات) التي تسهم – بأدواتها طبعاً– في بناء الخطاب اللغوي وتحقيق الاتّساق النصّي على مستوى البنية السّطحية . وهو ما حولنا الإجابة عنه في بحثنا المتواضع أين تمكننا من التوصل إلى عدة نتائج كان من أهمها:

- العطف من ادوات الربط المهمة في تماسك والتحام أجزاء النصّ القرآني.
- تحمل مادة (ع ط ف) عدّة معاني تتفق في الميل والرجوع، والانصراف والإعراض، والرحمة والزيادة .
- العطف في استعمال النحاة مرتبط بالبيان الموضّح وبالنسق بين التابع والمتبوع.
- للواو والفاء وثم وأو دورا في توجيه المعنى وتخصيصه ، فكل حرف له وظيفة تميزه عن غيره ، بحيث لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يحل واحد مكان الآخر ، بحيث يؤدي نفس المعنى.

الحرف	معانيه ودلالاته

"و"	–مطلق الجمع –يعطف الشيء على لاحقه –الحالية الاستئنافية – المعية –– الجمع بين المتعاطفين – السياق يدل على الزمن
"ف"	–الترتيب (معنوي و ذكري). – التعقيب – السببية (جملة و صفة)
"ثم"	– الترتيب في التراخي – ترتيب الأخبار
"أو"	–الشكّ في المتكلم – الإبهام على السامع – التخيير بين المعطوفين – الإضراب –الإباحة – التقسيم – التفصيل بعد الإجمال– التقريب

- أن "الواو" أكثر حروف العطف استخداما نظرا لاحتمال معطوفها للمعية والترتيب وعكسه. وتعود الوفرة في معاني الواو إلى أن النفس – عند خروج صوتها– لا يصطدم بأي عائق في جهاز النطق ، هذا من الناحية الفيزيولوجية ، أما من الجانب التركيبي ، فالواو تفيد دلالة التواشج الوظيفي في بناء الجملة بناء يحيل إلى ضرب من التمساك الدلالي بين الأبنية للتعبير ، ويتخيّرها الروائي للتعبير عن أحداث تسارعت وتوالت وتداخلت داخل المقاطع السردية التي تزداد تكاثفا وترابطا من الناحيتين التركيبة والدلالية .

[1]- رشيد برقان، آليات ترابط النّص القرآني، (د. ط)، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2015.ص111.

[2]- الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تح : مهدي المخزومي و إبراهيم السمرائي ، مادة (ع ط ف)،ج 2، ص 17 – 18.

[3]- ينظر: مصطفى حميدة، أساليب العطف في القرآن الكريم، الشركة المصرية العالمية للنشر+ لونجمان، مصر، 1999، ص 18.

[4]- ينظر: السابق، ج3، ص 218- 219.

[5]- نفسه، ج 3، ص 224 – 225.

[6]-ينظر: نفسه، ص 536.

[7]- ابن عقيل، شرح بن عقيل ،ص 224.

[8]- نفسه، ص 225.

15- ينظر: ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب، تح: محي الدين عبد الحميد، (د، ط)، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ج2، ص 408.

[10]- المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني،تح : فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1992-1413، ص 61

[11]- ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب، ص 183.

[12]- نفسه ،ص 183.

[13]- المرادي، الجنى الداني، ص 62.

[14]- ابن هشام الأنصاري ،مغني اللبيب، ص 185.

[15]- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص 1092.

[16]- الزركشي، البرهان في علم القرآن ج 4، ص 209.

[17]- محمد أسعد النادري، نحو اللغة العربية، ط 2، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1997- 1418، ص 860.

[18]- الزركشي، البرهان في علم القرآن، ص 1068.

[19]- ابن هشام الأنصاري ، مغني اللبيب، ص 74.

[20]- نفسه ،ص 75.

[21]- محمد أسعد النادري، نحو اللغة العربية، ص 860.

[22]- نفسه، ص 860.

[23]- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص 1070.